كوريا واللغة والهوية

تجربة كوريا الجنوبية في الحفاظ علي اللغة الكورية عند الطفل

د. يوسف عبد الفتاح(*)

يقول الشاعر الصقلي إجنازيا بوتينا في قصيدته "لغة وحوار"[1]:

ضـــــع شـــــعبًا في الـــــسلاسل
جـــــردهم مـــــن ملابـــــسهم
سـد أفـواهم . . لكـنهم مـا زالـوا أحـرارا
خذ منهم أعمالهم . . . وجـوازات سـفرهم
والموائـــد الـــتي يـــأكلون عليهـــا
والأســـرَّة الـــتي ينـــامون عليهـــا
لكـــنهم مـــا زالـــوا أغنيـــاء
إن الـــشعب يفتقـــر ويـــستعبد
عنـــدما يُـــسلب اللـــسان
الـــذي تركـــه لـــه الأجـــداد
وعنـــدها يـــضيع للأبـــد

أدركت كوريا الجنوبية أن لغتها إذا سُلبت ضاعت هويتها وذابت ثقافتها، بل أكثر من هذا أنها أدركت أن كتابة لغتها بالخط الصيني ينتقص من هويتها، ويعرض نتاجها الفكري للسطو ولا يحقق لها الخصوصية التي تريد، ولذلك لا يذكرون الملك سيه جونغ رابع ملوك مملكة تشوسون الكورية الذي اخترع الهانجول[2] سنة ١٤٤١إلا بالملك العظيم لينهي بذلك سيطرة الخط الصيني، ثم جاءت اليابان واحتلت كوريا ومنعتها من استخدام اللغة الكورية وقررت اللغة اليابانية في المدارس بدلاً من اللغة الكورية وذلك في عام ١٩٣١، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ عادت اللغة الكورية إلى الحياة مرة أخرى. فجعلوا يوم عودتها إلى الحياة عيدًا للغة الكورية له طقوس خاصة يحضرها رئيس الدولة.

(*) الأستاذ بجامعة هانكوك للدراسات الأجنبية ـ كوريا الجنوبية.

ثم اتخذوا في كل مجال ما يلزم للحفاظ على اللغة الكورية ومن ثَم الحفاظ على هويتهم، وسوف نتحدث بإيجاز عن تلك الإجراءات في مختلف المجالات.

١- المدرسة:

أدرك الكوريون أهمية المدرسة وكونها حلقة الوصل بين الطفولة المبكرة التي يقضيها الطفل في منزله وبين فترة اكتمال نموه التي يحاول فيها القيام بدوره داخل المجتمع، وفيما يخص اللغة الكورية اتخذ الكوريون ما من شأنه رفع قدر اللغة الكورية فيما يخص الأركان الأساسية في المدرسة وهي :

١- (المعلم):

فقد اشترطوا فيمن يريد تدريس اللغة الكورية في المدارس اجتياز اختبار حقيقي في اللغة الكورية شعرًا و نثرًا شفهيًّا وتحريريًّا، فإذا نجح سمحوا له أن يلج هذا المجال وهم مطمئنون أنه سوف يقدم للأطفال المعرفة بطريقة تتناسب معهم، وبلغة فصيحة سهلة يصبح معها نموذجًا يستمد منه الأطفال النواحي الثقافية والخلقية واللغوية[٣].

وجدير بالذكر أن راتب المعلم في هذه المرحلة لا يقل عن ٢٣٠٠دولار شهريًّا ولا يسمح له بالدروس الخصوصية، فإذا اقترف هذا الإثم فقد عمله للأبد.

٢- كتاب اللغة الكورية (للطفل):

اهتم واضعو كتب اللغة الكورية للسنوات المختلفة في المدرسة بأن تكون المادة المقدمة إلى الطفل تتسم بالمنطقية والسهولة والتدرج من ناحية، ومن ناحية أخرى تشبع حاجاته العقلية في كل مرحلة.

كما اهتموا بشكل الكتاب الخارجي والداخلي والأشكال التوضيحية، وقبل هذا كله ضرورة أن تكون لغته تتناسب والمرحلة السنية للطفل من حيث الألفاظ والتراكيب والأسلوب.

٣- الطريقة التي تُقدم بها اللغة للطفل في المدرسة:

يحاول المعلم أن يبث في التلميذ أن اللغة الكورية هي هويته بل هي شخصيته وبدونها لن تكون له شخصية أو هوية في هذا العالم، وإذا أتقنها استطاع أن يكون في المستقبل كما يريد: ضابطًا أو طبيبًا أو مهندسًا أو عالمًا في أي فرع من فروع العلوم، فلا وجود للغة أجنبية في هذه المجالات.

ومن هنا يُقْبل التلميذ على تعلم اللغة الكورية التي اكتسبت عظمتها من تقدير أهليها، ومن ثقة معلميها بأنفسهم وانتقال هذه الثقة إلى الأطفال.

بل وأكثر من ذلك اتخذت السلطات الكورية قراراً بجعل التاسع من أكتوبر يومًا للغة الكورية(كما سبق) تُقام فيه المسابقات لأطفال المدارس في الحديث والتعبير، ويحصل الطلاب المتميزون على جوائز مادية وأدبية قيِّمة[٤].

كما لاحظت أن معلم اللغة الكورية يستخدم تقنيات تربوية تخرج الأطفال من جو الفصل التقليدي والرتابة المملة، يحاول أن يدرك الفروق الفردية بين الطلاب، فما يصح لهذا قد لا يفيد مع ذلك.

كما لاحظت أيضًا اهتمام المدارس الكورية بما يُسمى بالتعليم الموازى، مثل المسرحية والتمثيل والمسابقات والرحلات الترفيهية والتعامل مع الحاسوب وشبكة المعلومات الدولية.

وقد توجهت بسؤال لأحد معلمي الأطفال عن طريقته في تعليم اللغة الكورية فقال :

أحاول أن أجذب انتباه التلميذ إليَّ دائمًا ولا أجعله يشرد، ولذلك فإنني أسأله أسئلة تبدو صعبة أحيانًا ليبذل جهدًا في التفكير، وإذا لم يتمكن في البداية فإنني أساعده فتنمو معلوماته ويرتبط بي ويشعر أنني أحبه وأريد أن أساعده.

كما أنني أشجعه دائمًا على كتابة التعبير و القصة، كما أدفعهم دائمًا للحوار مع بعضهم أو الحوار معي، فالحوار يطلعهم على معلومات جديدة ومفيدة وتؤثر في حياتهم.

كما أنني أيضًا أقرأ معهم القصص الجيدة التي تهدف إلى ترسيخ القيم الأخلاقية، وأجعلهم يمثلونها باللغة الفصحى أمام زملائهم.

٢. وسائل الإعلام:

في كوريا أكثر من مائة وعشرة قنوات تليفزيونية(كلها خاصة إلا قناة كي بي إس)، خُصص منها خمس قنوات للطفل، كما خُصص في القنوات الأخرى وقت محدد لبرامج الأطفال وكلها تبث باللغة الكورية الفصحى السليمة التي يفهمها الكبير والصغير. أما قنوات الأطفال، فتركز على تقديم برامج هادفة تربويًا تُعد بأسلوب ترفيهي أو على صورة رسوم متحركة، كل مجموعة منها تناسب مرحلة عمرية محددة[٥].

ومن حرصهم على لغتهم، فإنهم إذا استضافوا ضيوفًا في البرامج الحوارية وتكلم أحدهم عبارة بالعامية تدارك المذيع وصححها ونطقها بالفصحى، وإذا كانت العامية مقصودة لذاتها فإنهم يكتبون المرادف الفصيح على شريط أسفل الصورة.

ولذلك صار الأطفال عندهم يحبون لغتهم، يندفعون لتعلمها صحيحة سلمية، وصار لديهم رصيد لغوي للحفاظ عليها والحوار بها في شتى مجالات الحياة[٦].

ومن أهم الملاحظات على اللغة في وسائل الإعلام الكورية :

١ـ استعمال الكورية الفصحى في شتى البرامج والإعلانات .

٢ـ تقديم ما يخدم الطفل الكوري ويربطه ببلده .

٣ـ التناسب بين لغة البرنامج وسن الطفل .

٤ـ احتواء البرامج على مشاهد ترفيهية تشد الطفل وتغرس فيه ما تريد دون أن يشعر .

٥ـ احتواء البرامج على مسابقات في مجال الإبداع للأطفال تستقطب الأطفال .

٦ـ احتواء بعض البرامج على التاريخ الكوري والشخصيات الكورية البارزة التي يرغب الطفل في معرفتها .

وعندما سألت أحد مسئولي إعلام الطفل عن سر الاهتمام باللغة الكورية بعامة ولدى الأطفال بخاصة أجاب :

إن أي مجتمع كان في يوم من الأيام مجموعة من الأطفال، فلا مجتمع بدون أطفال، ولا مشاهير أو علماء وُلدوا كبارًا، ومن ثَم فإن الاهتمام بما يُقدم للطفل أمر ضروري حتى يستمر العطاء وتستمر الدولة وتبقى الهوية .

وإننا في هذا الإطار نحرص على أن تكون البيئة في كل مكان كورية اللغة والثقافة، والهوية، فلوحات الإعلانات كما ترى لا توجد فيها لوحة أجنبية اللغة، وإذا كان لا بد من استعمال اللغة الأجنبية فلا بد أن تُكتب بخط صغير وتكتب فوقها اللغة الكورية بخط كبير .

والقنوات التليفزيونية والإذاعية تهتم بلغة الطفل حتى تتربي عنده مَلَكة الانتماء الحقيقي لهذه الأرض وهذه اللغة وهذه الثقافة، ومن ثَم يبدع بها ويبدع لها .

٢- الكتب والمكتبات:

أدرك الكوريون أن التأليف والترجمة للطفل أمر له خطورته، لأن الثقافة حاجة من حاجات الطفل وتُسهم بشكل كبير في تكوين شخصيته لبناء المجتمع مستقبلاً .

كما أدركوا أيضًا أن أداء هذه المهمة بطريقة سلمية يحتاج إلى تضافر جهود المؤسسات والتنسيق فيما بينها، لأن ثقافة الطفل مزيج من التربية والفن وهذا المزيج يُقدم بواسطة العلوم والفنون والآداب بطريقة يستطيع الطفل معها أن يتمثلها ويعتمد عليها في توجيه سلوكه داخل المجتمع توجيهًا سليمًا .

وإحصاء كل المؤلفات الخاصة بالطفل أو المترجمات له فوق طاقة هذه الورقة؛ ولكنني أشير فقط إلى أن ما يؤلف أو يترجم في جميع الفروع المعرفية فيه٣٧ ٪ يخص الطفل[٨] .

وتُتاح هذه الكتب في المكتبات العامة والخاصة ومن حق الطفل أن يقرأ هذه الكتب مجانًا ودون اشتراك، بل إن مكتبات بيع الكتب بها ركن للأطفال مجهز بمقاعد ومكاتب لهم يقرؤون فيه ما يريدون مجانًا ودون إزعاج من صاحب المكتبة.

وقد سألت عن هذه الظاهرة فقيل لي إن المكتبات تقدم هذه الخدمة لرعاية الأطفال وتعويدهم على القراءة والبحث والتطلع للمستقبل من خلال القراءة دون تكلفة الأسرة الأعباء المادية الإضافية.

وقد لوحظ فيما يُترجم للطفل أنه يُطْلعهم على عادات الأمم الأخرى وتقاليدها وعلاقة أطفال هذه الأمم بأوطانهم، إضافة إلى المتع الفنية النابعة من الحكايات الشائقة والشخصيات المحببة التي تستجيب لتطلعات الطفل وحاجاته.

ويحاولون تجنب كل ما يمكن أن يؤدي إلى اختراق الأطفال ثقافيًّا أو يطمس هويتهم عن طريق تمجيد ثقافة الآخر أو ما يخص إيديولوجية منتجيه، وإنما يترجمون كل عمل له صفة إنسانية عامة تخدم لا تضر.

كما تصدر ثماني مجلات أدبية و علمية للطفل [٩].

موقف الكوريين من اللغات الأجنبية:

يدرك الكوريون أن الاتصال المباشر وغير المباشر بينهم وبين دول العالم لتبادل الخبرات العلمية والتكنولوجية في ظل العولمة التي لا يستطيع الإنسان أن يعيش في معزل عن الآخر، الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى تعلم لغة أجنبية.

بيد أن الكوريين قد انقسموا في هذا الأمر، فمنهم من يرى أن تعلم الطفل لغة أجنبية بجانب لغته الأصلية هو السبيل الأمثل لتوسيع مداركه وإثراء تجاربه.

ومنهم من يرى أن تدريس لغة أجنبية في التعليم العام وبخاصة في المرحلة الأساسية سيؤدي إلى تفتيت الثقافة والهوية القوية المتمثلة في اللغة القومية، لأن اللغة ليست مفردات وتراكيب فقط وإنما هي وعاء لثقافات وعادات وقيم.

هذا هو رأى المختصين. أما الواقع الفعلي، فإن اللغة الأجنبية وهي الإنجليزية تُدرس الآن في الصف الثالث الابتدائي (منذ عام ١٩٩٧) وفي الإعدادية والثانوية وهي مادة إجبارية، ويختار طالب الثانوية العامة لغة أخرى من بين اللغات الآتية : اليابانية، الصينية، الفرنسية، الإسبانية، الروسية، العربية، الألمانية.

ويقوم هذا البرنامج على تعلم اللغة الكورية أولاً ثم يلتحق التلميذ في حصة خاصة لتعلم

اللغة الأجنبية، ولا يسمحون للطفل الكوري بالالتحاق بالمدارس الأجنبية التي تدرس كل العلوم باللغات الأجنبية إلا في حدود ثلاثة في المائة لأن هذا خطر شديد على اللغة الأم، كما أن أولياء الأمور أيضًا لا يرغبون في ذلك لأن الوظائف وحتى الدراسات العليا فضلا عن الدراسة الجامعية باللغة الكورية، فإذا تعلم كل العلوم باللغة الأجنبية فعليه أن يرحل بعيدا عن كوريا.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

١ـ اختيار يوم ليكون عيدًا للعربية في كل البلدان العربية يكرم فيه التلاميذ المتفوقون في العربية ويُقام التكريم في بلد عربي كل عام.

٢ـ تفعيل القانون الخاص بضرورة كتابة الإعلانات بالعربية.

٣ـ التزام الإعلاميين بالعربية الفصحى علي الأقل في برامج الأطفال.

٤ـ منع السخرية من العربية خصوصًا في وسائل الإعلام، ومنع أي عمل درامي من العرض إذا تعرض للعربية.

٥ـ الاهتمام بمعلمي العربية عامة ومعلمي الأطفال خاصة ماديًّا وأدبيًّا.

٦ـ الاهتمام بالتأليف للطفل والرقابة علي ما يترجم له، فما يفيد بلدًا قد لا يفيد آخر.

٧ـ زيادة القنوات التليفزيونية المتخصصة للطفل والالتزام فيها بالعربية الفصحى.

٨ ـ دراسة كيفية العودة إلي تدريس العلوم بالعربية في مختلف المراحل التعليمية

٩ـ تأجيل دراسة اللغة الأجنبية إلي مرحلة تالية لإتقان الطفل للغته الأم.

الهوامش والإحالات

١. نقلاً عن د/ أحمد درويش: إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية، ص١٣، نهضة مصر٢٠٠٥.

٢. اسم حروف اللغة الكورية.

3. 백봉자, "한국어 교수법"

4. '한글날'의 유래

5. "1930년대 일제의 민족말살정책"

6. "1930년대 일제의 민족말살정책"

7. 2001년 문예 연감, "문학관련통계"

8. 대한출판문화협회,"최근 5년간 아동 분야와 전체 발행량 변화 추이 비"

9. 2006년 중등교사 신규임용 후보자 선정 경쟁 시험